دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

الطبونيميا المائية الطبيعية في المغرب من خلال المصادر التاريخية الدفينة
حالة واد "بوفكران" بمجال مكناسة الزيتون

د. السهلي محمد
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
دكتوراه في التاريخ الحديث
مكناس - المملكة المغربية

مُلَخّص

تكتنف البحث في طبونيمية المائية صعوبات كثيرة، فالدراسات والأبحاث التي اهتمت بالدلالة اللغوية والطوبونيمية للمجال المغربي اقتصرت على أسماء القبائل والمدن وتتبع دلالتها الجغرافية والبشرية، ولم يكن البحث في الطوبونيميا المائية يحظى باهتمام كبير من لدن الباحثين. ويأتي عزوفهم عن البحث في الأعلام الجغرافية ذات الصلة بالماء إلى النقص الحاصل في المادة التوثيقية الكفيلة بكشف ملابسات التسمية ودلالاتها البشرية والجغرافية واللغوية، وإلى تحوير أصل بعض الأسماء ذات الارتباط بالمجاري المائية وتغيير نسقها اللغوي، بالإضافة إلى الصعوبات المنهجية التي تعتري التتبع التاريخي لها نتيجة غياب البحث الأثري. إن السعي إلى الكشف عن المضمون اللغوي والجغرافي للأسماء المرتبطة بالمجاري المائية يستدعي التوفر على تسلسل زمني للنصوص والوثائق، وهو ما يصعب القيام به في الوقت الراهن نتيجة تباين الإشارات المصدرية وتعارضها في بعض الأحيان، وفقدان بعضها للأسس التاريخية وهيمنة الجانب الأسطوري على بعضها، كما أن محاولة التتبع التاريخي لتلك التسميات يفرض تحديد منهج للبحث لتجنب التيه في الحقب التاريخية باعتبار أن تاريخ ظهورها يظل مجهولاً .

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٦ أكتوبر ٢٠٢٣
تاريخ قبـول النشـر: ٠٩ نوفمبر ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

الماء؛ الطوبونيميا؛ المصادر الدفينة؛ مكناس؛ بوفكران

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2024.251216

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

السهلي محمد. "الطبونيميا المائية الطبيعية في المغرب من خلال المصادر التاريخية الدفينة: حالة واد "بوفكران" بمجال مكناسة الزيتون".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد الثاني والستون؛ ديسمبر ٢٠٢٣. ص ٤٣ – ٥٣.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: mohamedsh20689@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

تستمد الطوبونيميا قوتها من الدراسات اللسانية والبحث الأركيولوجي والتحري التاريخي، باعتبارها أداة لسانية تنير بعض الجوانب المعتمة من النصوص المصدرية، في تحديد مضامين أسماء الأماكن، ورسم التطور الذي لحق اللسان المتحدث به. ولتحقيق البعد العلمي في الدراسات الطبونيمية وجب احترام القواعد العلمية والمنهجية، ومراعاة وضعية الأماكن المعنية بالبحث وخصوصياتها التاريخية والجغرافية وحتى الثقافية، بغية إيجاد الاسم الأصلي وتتبع تطوره. وبناءً على ذلك تأتي أهمية المصادر الدفينة في توفير معلومات ذات بعد طوبونيمي وفيلولوجي تطوري ودلالي للمواقع وأسماءها، خاصة الطبيعية منها، وهو ما تروم هذه الورقة البحثية الوقوف عنده من خلال تتبع التطور التاريخي لطبونيمية "واد بوفكران" بمجال مكناسة الزيتون، من خلال تتبع الإشارات الواردة في مجمل المصادر المؤرخة له، في محاولة لتحليلها وتأويلها وفق ما تسمح به المادة التاريخية المتوفرة، ومستعينين بذلك بالمنهج الاستقرائي الوصفي، والمنهج التحليلي، وذلك من خلال محورين رئيسيين: أولاً طبونيمية واد بوفكران من خلال المصادر التاريخية وأوصاف الجغرافيين، ثانيًا تطور طبونيمية الواد خلال المراحل التاريخية الوسيطية.

أولاً: طبونيمية "واد بوفكران" من خلال المصادر التاريخية وأوصاف الجغرافيين

١/١-مصادر الماء بمجال مكناس وأهمية "واد بوفكران"

تفيد الروايات الجغرافية[١] والتاريخية[٢] التي اهتمت بمجال مكناس بوجود ثلاثة مصادر أساسية للماء تتمثل في العيون والآبار والأنهار، ولعل الموقع الطبوغرافي الذي قامت عليه المدينة هو ما مكّن من تنوع هذه المصادر، إذ أن انتشار المدينة فوق الهضبة الكلسية جعلها تستفيد من التقاء شبكة من الأنهار الدائمة الجريان ومن انبجاس أهم العيون[٣]، على أن ما يطبع تلك الروايات هو اقتضابها وغموضها أحيانا، فهي لا تذكر شيئًا عن مصادر المياه وصبيبها، باستثناء رواية ابن غازي[٤] وابن زيدان[٥] اللذان حاولا تحقيق منابع بعض العيون والأنهار بالمجال المكناسي.

وعلى الرغم من قلة المعطيات المفيدة في هذا المضمار، إلا أنه يمكن إعطاء تصور ولو تقريبي عن الوضعية المائية لمجال مكناس باستنطاق مضمون تلك الروايات؛ فصاحب الاستبصار يصف أرض مكناسة بأنها "طيبة المزارع كثيرة المياه (...) تشقها الأنهار والمياه السائحة والعيون الكثيرة"[٦]، وبالمثل يشير الإدريسي إلى جريان مياه نهر صغير في شرق المدينة، وأن المياه تخترق أزقة "بني زياد"، كما يؤكد في سياق وصفه لحوائر[٧] مكناسة أن "تاورا" يأتيها ماؤها من الجنوب من نهر كبير فينقسم في أعلاه ليخترق أزقتها وأكثر دورها وشوارعها[٨]، ويقول عنها ابن غازي أنها "بلدة خصيبة ذات عيون وأنهار"[٩]، ويكتفي ابن الخطيب[١٠] وابن السباهي[١١] بالتغنّي بمياهها الثرّة وبخيرات مجالها الطبيعي، بينما لا يسجل كل من البكري[١٢] والزهري[١٣] شيئا عن مصادر مياه مكناس. وفي كل الأحوال، فهذه المعلومات تفيد بشكل عام في توضيح النقط التالية:

أولاً: إن مصادر المياه بمكناس تتفاوت أهميتها حسب قوة صبيبها وغزارة مياهها وقربها من التجمعات الحضرية والبشرية، وأن استغلالها كان على أتمه، سواء في سقي الأراضي المتملكة أو في تحريك المنشآت المائية كالأرحاء أو تزويد المساجد والحمامات.

ثانيًا: إن العيون المائية كانت تستغل أغلبها في السقي بشكل خاص، قياسًا على إشارتين أوردهما ابن غازي في سياق حديثه عن حوائر مكناسة، حيث أشار إلى أن العيون المتواجدة بحارة "بني زياد" مخصصة لسقي أملاكهم، وكذلك الشأن بالنسبة لعين "أبي الخيار" التي كانت "تسقى بها طائفة كثيرة من أملاك تاورا ومن أملاك من تحتها"[١٤].

والذي يتبيّن من خلال كلامه كذلك أن العيون المتفجرة بأرض بني زياد كانت ضعيفة التصريف، ولعل ذلك ما دفعهم إلى جر ساقية من واد "فلفل" (بوفكران) لسقي باقي أملاكهم، بينما استعملت باقي المصادر المائية الأخرى للتزود بمياه الشرب وتزويد الحمامات والمساجد، على أن أهم العيون المائية بالمنطقة هي عين "تاجما"، فهي "طيبة الماء عجيبة القدر"[١٥]، تتميز

"بالخفة والصفاء والعذوبة"[١٦]، لذلك عمل الموحدون على جر مياهها إلى المدينة "فوق أقواس واصلة إلى حين أسوارها الجنوبية"[١٧] لتزويد جامعها الأكبر وميضأته[١٨]، كما عمل السلطان مولاي إسماعيل على إصلاح مجراها بعدما أصابه الخراب زمن الفتنة[١٩] وجدّد تحبيسها على المسجد الأعظم[٢٠].

ثالثًا: إجماع تلك الروايات على أهمية واد "فلفل" في تعمير المنطقة بشريا، والإقرار بدوره المحوري في اقتصاد العناصر المكناسية، وبما له من دور هام في تحديد خصائص الامتداد العمراني للحوائر أولا، والحصن ثانيا، والمدينة العتيقة ثالثا. ولعل انتظام المجموعة البشرية على مستوى الواد المذكور ونمط عيشها[٢١] يؤيد ما ذهبنا إليه، وهو ما يبرزه صاحب "الروض الهتون" حينما حدد مواقع المستقرات المكناسية القديمة انطلاقا من مركزها على الواد، فحدد موقع حوائر "بنو عطوش" و"بنو برنوس" و"بنو شلوش" وبنو موسى" على الضفة الغربية من واد فلفل إلا "تاورا" فإنها على ضفتي الواد الغربية والشرقية، أما "ورزيغة" فإنها تقع شرق الواد[٢٢]، كما أن إشارة صاحب الاستبصار إلى "عمائر متصلة تشقها الأنهار والمياه سائحة"[٢٣] تؤكد ارتباط عمران المدينة بالماء، وعلى محورية مياه الواد في نشأة المدينة وتطورها العمراني في كل المراحل والعصور التاريخية.

إن أهمية واد بوفكران لا تقف عند إسهامه في التطور العمراني للمدينة، بل أدى دورًا أساسيًا في اقتصاد المنطقة، إذ بفضله أكسبت المنطقة "اخضرارا واعتدال المناخ"[٢٤]، وفي ازدهار المجال الفلاحي المحاذي للمجال الحضري الذي خصّص أغلبه للعراصي الخاصة بالإنتاج الفلاحي المكثف[٢٥]، حتى غدت "المجاشر محدقة بها من كل جهة، كل مجشر بمزارعه وغراساته ومراعيه (...) وكان زيتونها الذي تنسب إليه متصلا بها وبحاراتها من كل جهة"[٢٦]، وأضحت مكناس " بلد دارت به المجاشر المغلّة"[٢٧]، ولا تعوز الشهادات الدالة على صواب هذا الرأي، فتواتر الروايات في المصادر تبرز العلاقة بين واد بوفكران والمجال الزراعي المنتشر على ضفافه، وهي علاقة أنتجت أنواعا شتى من المنتوجات ذات القيمة النادرة، "تجبى منها مقادير لا حد لها ولا نهاية"[٢٨].

كما تكمن قيمة مياه الواد أيضًا فيما أفرزته من علاقات اجتماعية حول استغلالها، إذ من الطبيعي أن تخضع تلك المياه للتقسيم بين السكان منذ أول استقرار لهم بالمجال، وهو ما يسجله الإدريسي في معرض حديثه عن مكناس بقوله: "والماء يأتيها من جنوبها من نهر كبير فينقسم في أعلاه ويمر ما انقسم هناك من المياه فيخترق جميع أزقتها وشوارعها وأكثر دورها"[٢٩]، وقد واكب تقسيم المياه بين سكان مكناسة نظام ري مدعم بتجهيزات تقنية[٣٠] ساعد على خلق فضاء اجتماعي بين المكونات البشرية المحاذية للواد.

ومن أوجه أهمية مياه واد بوفكران تنافس الدول المتعاقبة على حكم المغرب على جر مياهه للسقي؛ فالموحدون جلبوا ماء الواد لسقي البحائر التي أحدثوها بمجال مكناس[٣١]، كما أن السلطان مولاي إسماعيل عمل على تحويل مجراه قصد إدخاله للمدينة، وتزويد مرافقها العمرانية والاجتماعية والدينية بعد التوسع الذي شهدته خلال عهده[٣٢]، كما أن التنافس على مياهه احتد بين أغنياء مكناس في النصف الثاني من القرن ١٩م حول ملكيته واستغلاله بالدور والرياضات، حتى غدا الحصول عليه معيارا للتمايز الاجتماعي بالوسط المكناسي[٣٣]، بالإضافة إلى أن السلطات الاستعمارية حاولت الاستحواذ عليها بغرض سقي مستغلات المعمرين الذين استقروا بالمدينة وضواحيها بعد سنة ١٩١٢م[٣٤].

٢/١-تحديد روافد واد بوفكران من خلال المصادر

تطرح أوصاف الجغرافيين والرحالة عدة مشاكل بخصوص تحديد منبع واد بوفكران ومصادر تغذيته، إذ إن رواياتهم متضاربة ويطبعها الغموض وعدم اليقين والاضطراب في التوطين، وذلك راجع إلى استنساخهم للمعلومات والأوصاف التي تهم الواد، وعدم اهتمام العديد منهم بتحقيق منبعه. أما ما يتعلق بالحوليات الإخبارية فإنها تضرب صمتا ولا تذكر ما يفيد في الموضوع، باستثناء رواية ابن غازي المقتضبة ورواية ابن زيدان الذي اعتمد هو الآخر على بعض الدراسات الأجنبية في تحقيق منبع مياهه، وعلى هذا الأساس فإن

الأمر يستدعي الاستعانة بالمعلومات الحديثة والأجنبية قصد فهم النصوص المصدرية وتحقيق مصادر تغذية الواد.

نشير في البداية إلى أن المقصود بالواد في أوصاف الجغرافيين هو واد "فلفل" فهو المقصود في جل المصادر الجغرافية الوسيطية والحديثة متى ذكرت مكناسة الزيتون مقرونة بوادها، كما أن أغلب الأوصاف والروايات المتوفرة بين أيدينا لم تتعد الوصف المجالي الخارجي له، فالإدريسي يقول عنه: "ومدينة مكناسة هي المسماة تاقرارت (...) يجري في شرقيها نهر صغير عليه أرحاء"[٣٥]، كما كتب عنه ابن سعيد المغربي بأنه ينزل من "جبال غمارة التي في شرقيها نهر فلفل ويمر بجنوبيها وينصب في نهر سبو"[٣٦].

وبالمثل يشير الوزان أن مكناس تقع "في سهل بديع جدا ويمر بالقرب منها نهر صغير"[٣٧]، أما رواية مارمول كربخال فقد انفرد بذكر المسافة بين المنبع وموضع المدينة، حيث أشار إلى أن مكناس توجد فوق "سهل جميل على ضفة نهر لطيف لا يبعد عن منبعه سوى بنصف فرسخ"[٣٨]، بينما اكتفى الأسير مويط بتحديد موقعه بالنسبة للمدينة بالقول إنه "يمر شمال شرق المدينة على بعد مرمى بندقية"[٣٩]، لكن بدون أن يفصح عن موقعه ولا وجهة مياهه، الأمر الذي يعقد من عملية التحقق من روايته.

تؤكد هذه الأوصاف الجغرافية حقيقة تاريخية مفادها أن واد بوفكران لم يكن معروفا لدى الجغرافيين القدامى بالقدر الذي يمكنهم من تقديم أوصاف مستفيضة وضافية عنه، وهو ما عكسته بحق جل أوصافهم التي قصرت القول عنه بأنه "نهر صغير". والواقع أن ندرة المعلومات الجغرافية عن الواد سبّبت التباسا عند بعضهم في تحديد منبعه، نتيجة الاعتماد في تدوين معلوماتهم على المنقول والمتواتر لا على المشاهدة والتجربة، كما هو الحال عند ابن سعيد المغربي، الذي اعتمد على الرواية الشفوية في تدوين أوصافه عن الواد، دون إعمال منهج النقد والتمحيص، مما سبّب اضطرابًا في معلوماته بخصوص التحديد الجغرافي له.

والظاهر أن قلة اهتمام المصادر الجغرافية بالواد يرجع لطبيعته الجغرافية، فهو يندرج ضمن الأودية الصغيرة التي تتشكل بفعل التقاء مجموعة من المصادر المائية التي تعمل على تغذيته، كواد الرحى وعين معروف وغيرهما، وأيضا لمحدودية أهميته ومنفعته على مستوى المدينة، خلافا لباقي الأنهار والأودية التي تكون منفعتها عامة، حيث إن استغلال مياه بوفكران انحصرت في سقي الأملاك والجنات والبساتين المحاذية له، وفي تزويد مرافق المدينة في عهد السلطان مولاي إسماعيل، بعد تقويته لصبيبه بمصادر مائية جديدة كما سنقف عند ذلك.

من جانب آخر إذا تصفحنا رواية ابن غازي تظهر معرفة نسبية حول أصل مياهه، رغم اتسامها بضيق الأفق، فهو يشير في معرض حديثه عنه إلى مروره قرب سور المدينة من "قبلة إلى جوف" وأن أصله من "جبل بني فازاز"[٤٠]، إلا أن الوصف الذي قدمه ابن غازي نقل أكثره من تقييد "أبي الخطاب سهل بن القاسم بن زغبوش" الذي اعتمد بدوره "في جمع أخباره على المأثور من الروايات الشفوية في عصره"[٤١]، مما يطرح إشكالية التوطين الجغرافي للواد وضبط حدوده، لما يعتريه من الالتباس والتنوع.

فمنطقة "فازاز" التي ذكرها ابن غازي مجال لمنبعه "تقع بين الأطلس الكبير وأقصى شمال الأطلس المتوسط وتعانق بلاد تادلة وبلاد ملوية العليا"[٤٢]، وهذا الالتباس في تحديد مجال فازاز نجده حاضرًا أيضًا في المصادر التقليدية، فتارة يستعمل لفظ "بلاد فازاز"[٤٣] والذي يدل على اتساع المجال، وتارة أخرى يستعمل صيغة "جبل فازاز"[٤٤] والذي يوحي بانحصار المجال، بل إن اسم "فازاز" لا نجد له حضورا في العديد من النصوص الإخبارية لانقراض الاسم وتغيّره، ولعل إشكالية تحديد مجال "فازاز" نجد تفسيرها فيما خضعت له المجموعات البشرية التي استوطنت المجال وارتبط اسمها بتلك المنطقة من امتداد وتقلص نتيجة للظروف السياسية والطبيعية[٤٥]، الأمر الذي يجعل من مهمة تحقيق رواية ابن غازي أمرا لا يخلو من صعوبات ومشاكل.

أما عن المدلول اللغوي للمصطلحين "قبلة وجوف" اللذين استعملهما ابن غازي للتعبير عن اتجاه المياه، فقد كان قصده إبراز أن ماء واد بوفكران يأتي من منطقة جبلية مرتفعة وهي الواقعة جنوب المدينة في اتجاه المنطقة المنخفضة وهي التي توافق شمال منطقة مكناس المتميزة بسيادة الانبساط والتسطح[٤٦]، وعلى هذا الأساس، فإن رواية ابن غازي عن منبع واد بوفكران يمكن أن نعتبرها نظريًا صحيحة، رغم ما يكتنفها من غياب التدقيق المجالي.

بالموازاة مع ذلك، فقد أورد ابن زيدان في مؤلفه معلومات حول منبع الواد ومصادر تغذيته، اعتمادًا على ما أنجزه بعض الفرنسيين من أبحاث حوله إبان الحماية الفرنسية بالمغرب، ولأهمية هذا النص فقد أثبتناه على طول فقراته. يقول صاحب الإتحاف في سياق تعقيبه على رواية صاحب "الروض الهتون" عن الواد:

"وقد تحقق لدينا أن أصل منبعه من الكهف الكائن بقبة جبل بُوزَكُّو [...] الكائن أي الجبل بأقماشن من آيت بورزون فخذة قبيلة بني مطير ويعرف الكهف المشار إليه بكهف الريح سمي لذلك لشدة الريح الصاعدة من جوفه [...] وبسفح هذا الجبل المعروف بمزَّعْتوالْ عيون أصل معظمها وأكثرها ماء الكهف المذكور بدون أدنى ريب يلحق في ذلك سكان ذلك المحل قالوا لأنه مهما سقط بذلك الخرق شيء خرج في بعض تلك العيون وذلك أقوى دليل وأصدق برهان على أن أصلها منه [...] ومن أصول منبع بوفكران العظيمة عين معروف ويمتد خمسين كيلو مترا يبلغ منبعه في اليوم أربعين ألف متر مكعبا على ما حققه بعض الفرنسيين"[٤٧].

إن رواية ابن زيدان تظهر معرفة بأصل الواد، فمن خلال الأوصاف التي قدمها المؤلف يتبين بأن منبعه يوجد بالجبل المتواجد عند حافة الأطلس المتوسط بأقماشن بآيت بورزون، إحدى عظام بني مطير من كهف يسمى "بكهف الريح"، لكن الذي يستشف من روايته أن الكهف الذي يتحدث عنه هو أحد منابعه، بينما تشكل عين معروف أهم مصادره الرئيسة[٤٨]، والتي توجد جنوب مكناس.

وباستقراء الوثائق التي تتحدث عن روافده فإن الأمر لا يتعلق بمصدر وحيد للتغذية، بل بمصادر متعددة، منها العيون المائية كعين معروف وعين بوجاي وعين بوفكران وعين تاكمة وعين عماير وعين معزة وعين عتروس، ومنها الأودية التي تشكل روافد له كواد الرحى الذي ينبع من "أكوراي"[٤٩].

والراجح أن عيون الحاجب كانت هي الأخرى تشكل أحد روافد الواد، إذ تفيد إحدى الوثائق[٥٠] إلى كون عيون الحاجب كانت تصبُ في واد عين معروف "بواسطة الساقية الأثرية التي لازالت أطلالها قائمة بين الحاجب وعين معروف"، أما واد الرحى فهو الآخر كان يصب في واد عين معروف، وهذه المصادر المائية كانت "تسمى عند اجتماعها بأبي فكران"، كما تذكر وثيقة أخرى تعود لأحباس مكناس أن مبدأ الواد من "عين معروف مع وادي الأراحي إلى أن اشترك الجميع بتاكمة ثم صاروا واديًا واحدًا مختلطًا مما ذكر أمام ضريح سيدي بوزكري"[٥١].

وبالعودة لرواية ابن زيدان فقد ذكر بأن صبيب الواد في اليوم يصل إلى أربعين ألف متر مكعب، أي ما يعادل ٤٠٠٠٠ متر مكعب x ١٠٠٠ لتر = ٤٠٠٠٠٠٠٠ لتر في اليوم، فإذا قسمنا هذا العدد على ٢٤ ساعة فإننا نحصل على ما يعادل ١٦٦٦٦٦٦ لتر في الساعة و١٦٦٦٦٦٦÷ ٦٠ دقيقة = ٢٧٧٧٧ لتر في الدقيقة و٢٧٧٧٧÷ ٦٠ ثانية = ٤٦٢ لترفي الثانية.

وبمقارنة هذه الأرقام مع ما هو وارد في بعض الأبحاث الحديثة[٥٢] التي اهتمت بصبيب الواد يلاحظ أن هناك تطابقا في الأرقام، بل نعتقد بأن الصبيب الذي تحدث عنه ابن زيدان هو الأدنى، إذ أن أعلى صبيب للواد وصل مثلا في سنة ١٩٣٨م إلى ٥٦٦ لتر في الثانية[٥٣].

ثانيًا: تطور طبونيمية الواد خلال المراحل التاريخية الوسيطية

تكتنف البحث في هذا الباب صعوبات كثيرة، فالدراسات والأبحاث التي اهتمت بالدلالة اللغوية والطوبونيمية للمجال المغربي اقتصرت على أسماء القبائل والمدن وتتبع دلالتها الجغرافية والبشرية[٥٤]، ولم يكن البحث في الطوبونيميا المائية يحظى باهتمام كبير من لدن الباحثين. ويأتي عزوفهم عن البحث في الأعلام الجغرافية ذات الصلة بالماء إلى النقص الحاصل في

المادة التوثيقية الكفيلة بكشف ملابسات التسمية ودلالاتها البشرية والجغرافية واللغوية، وإلى تحوير أصل بعض الأسماء ذات الارتباط بالمجاري المائية وتغيير نسقها اللغوي[٥٥]، بالإضافة إلى الصعوبات المنهجية التي تعتري التتبع التاريخي لها نتيجة غياب البحث الأثري[٥٦].

إن السعي إلى الكشف عن المضمون اللغوي والجغرافي للأسماء المرتبطة بالمجاري المائية يستدعي التوفر على تسلسل زمني للنصوص والوثائق، وهو ما يصعب القيام به في الوقت الراهن نتيجة تباين الإشارات المصدرية وتعارضها في بعض الأحيان، وفقدان بعضها للأسس التاريخية وهيمنة الجانب الأسطوري على بعضها، كما أن محاولة التتبع التاريخي لتلك التسميات يفرض تحديد منهج للبحث لتجنب التيه في الحقب التاريخية باعتبار أن تاريخ ظهورها يظل مجهولاً.[٥٧] وتبعًا لما سبق، يمكن القول بأن المدلول اللغوي لتسمية واد بوفكران ما يزال في كثير من تاريخه غامضا، فجل الدراسات[٥٨] التي اهتمت بتسمياته لم تشر إلى الجانب الطوبونيمي إلا بشكل عرضي، كما أن المصادر لم تحتفظ لنا سوى باسمه ولم تذكر ما يفيد في الوقوف على معناه اللغوي ودلالاته المجالية وعمقه التاريخي والبشري.

١/٢-تسمية واد "فلفل"

يشير ابن غازي في سياق حديثه عن دلالة إضافة كلمة "الزيتون" لمكناسة إلى أن الاسم القديم للواد هو "فلفل" أما في عصره فيعرف "بأبي العمائر"[٥٩]، ويضيف ابن زيدان أسماء أخرى متعددة منها "بوفكران" و "عين معروف" و "دردورة"[٦٠]، لكن ما يهما من هذه الأسماء تلك التي كانت تطلق على الواد على المستوى المجالي للمدينة وهي "فلفل" و"أبي العمائر" و"بوفكران".

يوجد بشأن تسمية "فلفل" رأيان أو تصوران كاحتمال لسبب إطلاقها على الواد، الرأي الأول هو الذي تبناه جمال حيمر[٦١] ومحمد اللحية[٦٢]، اللذان ذهبا إلى احتمال وجود صلة بين تسمية "فلفل" واسم الأمير الزناتي "خزرون بن فلفول" الذي أسس إمارة بسجلماسة بعد تحالفه مع الأمويين بالأندلس[٦٣]. والرأي الثاني هو الذي يضيفه الباحث محمد اللحية كاحتمال ثان لوجه تسمية فلفل والقائم على ربط هذا الاسم بمادة "الفلفل" معتبرا بأن "منخفض النهر بظروفه الطبيعية الخصبة والرطبة [يشكل] مجالاً خصبًا لقيام مثل هذه الزراعة"[٦٤]، وهو ما ذهب إليه كذلك هنري طيراس في سياق حديثه عن الواد[٦٥].

ولئن كنا نشك في الاحتمال الأول نظرا للغموض الذي يلف الإشارات المصدرية الواردة في هذا المضمار حول علاقة الأمير الزناتي بمجال مكناسة، والتي يتصل جلها بمجال سجلماسة والمغرب الأوسط والأدنى[٦٦]، فإننا نرجح فرضية ارتباط اسم الواد بمجاله الطبيعي، قناعة منا بأن "الشيء يتميز عن غيره بخاصته التي اختص بها إما اعتبار الوجود وإما اعتبار الكثرة"[٦٧]، لذلك فإننا نعتقد بأن لفظ "فلفل" كمادة أطلق على الواد باعتبار الوجود، لتوفر الظروف الطبيعية ومنها الماء الذي يعدّ شرطًا أساسيًا لزراعة هذا النوع من المزروعات[٦٨].

ويزكي هذا الاحتمال تواتر الإشارات الدالة على تلازم اسم المدينة وبعض حوائرها بمجالها الطبيعي، فلفظ "الزيتون" الذي اختصت به مكناس إنما أطلق عليها لكثرته بها[٦٩]، كما أن اسم "تاورا" وهي إحدى حوائر مكناسة القديمة يحيل معناه الأمازيغي من جهة على نبات شوكي معروف[٧٠]، ومن جهة أخرى "بخصوصية طبيعية بارزة" والدالة على القرب من مصادر الماء[٧١]، فضلاً عن ذلك، فإن تعدد الإفادات المصدرية التي تصف المجال الزراعي للمدينة والتي أجمعت على تنوع أصناف الثمار والأشجار المنتشرة بجناتها وبساتينها يرجح احتمال وجود مادة "الفلفل" في هذا المجال.

وإذا كان الإلمام الدقيق بهذه التسمية يصطدم بشح المعلومات التي تقدمها لنا المصادر المتاحة، فالذي يستشف من شوارد بعض النصوص الوسيطية أن مادة الفلفل كان إنتاجها وفيرا ببلاد المغرب عموما، وأن "سَلَفَهُ" كان يخضع لأحكام فقهية محددة تأخذ بعين الاعتبار لونه وكميته ونقائه وطيبته[٧٢].

وفي ظل غياب الأبحاث والدراسات التاريخية الخاصة بالطوبونيمية المائية التي تمكن الباحث من القطع في مثل هذه القضايا، فإن احتمال ارتباط اسم

الواد بمادة "الفلفل" يبقى قائما، لكن حري بنا أن نتساءل في هذا السياق عن تاريخ إطلاق هذا الاسم على الواد.

لا نعلم على وجه التدقيق بداية إطلاق المجموعات البشرية تسمية "فلفل" على الواد باعتبار الحالة الراهنة للتوثيق، فأقدم نص نتوفر عليه يعود لأبي عبيد الله البكري[٧٣]، لكن مضمن وصفه يقتصر على مدينتي "عوسجة" و"ورزيغة"، بالإضافة إلى بعض المعلومات السياسية والطبيعية عنهما دون الإشارة لمجال مكناس، وهو ما يؤشر على غياب هذا الاسم على مستوى الواد خلال الفترة التي دوّن فيها البكري نصه والذي يرجع إلى القرن ١٠م/٤هـ.

وإذا أخذنا بما توصلت إليه مجموعة من الدراسات والأبحاث التاريخية عن أصول مكناس، والتي تحدثت عن أن أول استقرار محتمل للمكناسيين بمنطقة الواد "فلفل" ونشأة المدينة كان في النصف الأول من القرن ١٠م/ ٤هـ[٧٤]، فإننا نقول على وجه الاحتمال بأن لفظ الواد لم يحمل اسمه إلا بعد هذا التاريخ، أي بعدما شهدت المنطقة نموا عمرانيا وزراعيا هاما، لكننا نعتقد في نفس الوقت بأن هذا اللفظ لم يكن شائع الاستعمال بدليل غيابه في جملة من المصادر التي اهتمت بوصف مكناسة[٧٥]، وأن أول إشارة لتسمية "فلفل" تعود إلى القرن ١٣م/ ٧هـ، وهي التي احتفظ بها ابن سعيد في كتابه "الجغرافيا"[٧٦]، ليأتي ابن غازي ويؤكد على شيوع استعمال هذا الاسم قبل زمانه وبتغيره في الفترة التي تواجد فيها بمكناس[٧٧]، وفي هذه الحالة لا نجد من تفسير لغياب اسم "فلفل" في بعض المصادر قبل القرن ١٣م/ ٧هـ سوى أنه تعبير عن التجاهل أو الرفض لاستعماله لسبب أو لآخر، على أن لفظ "فلفل" ظل مستعملا في الوثائق حتى القرن ١٥م/ ٩هـ[٧٨]، ليختفي بعد ذلك لصالح اسم أبي العمائر.

٢/٢-تسمية واد "بوعماير"

خلافا للالتباس الذي يحوم حول اسم "فلفل" على المستويين التاريخي واللغوي، فإن الاسم الثاني للواد الذي أشار ابن غازي إلى تداول استعماله في زمانه[٧٩]، له ارتباط بالواقع التاريخي للمنطقة، فلفظ "أبي العمائر" يحيل على "العمارة" وما "يُعمر به المكان"[٨٠]، وهذا التعريف اللغوي يتطابق مع ما شهدته المدينة في عهد الموحدين والمرينيين من تحول عمراني واقتصادي أثر على المستقرات المكناسية الأولى، بل وأسهم في اندثارها وخراب مرافقها، وهو ما يفيدنا به ابن غازي في سياق حديثه عن آثار معركة العقاب وقيام المرينيين على النمو العمراني والاقتصادي للمدينة بقوله: "ونمت هذه البلاد وعمرت [...] وأخذت في النقص من سنة كائنة العقاب [...] ثم تفاقم الأمر عند قيام بني مرين على الموحدين وأتت الفتنة على الحوائر المذكورة كلها واندثرت ولم يبق منها إلا الصوامع والجدارات العتيقة وآخر ما خرب منها ودثر ورزيغة بعدما كانت هذه الحوائر شاركت المدينة المذكورة بعد بنائها في كثرة العمارة والبقاء لله وحده"[٨١].

وإذا كنا لا نخالف الرأي القائل بأن هذا التغير في اسم الواد إنما هو "تعبير عن الخرابات التي بقيت من المراكز السكنية القديمة للحوائر بطريقة عكسية أي بإطلاق الأسماء والصفات للتعبير على خلافها"[٨٢]، فإننا نعتقد، إضافة إلى ذلك، أن يكون لفظ "أبي العمائر" إنما أطلق على الواد للدلالة على أنه النواة الأصلية الأولى لنشأة المدينة، وعلى أن الحوائر التي انتظمت حوله تجسيد لذلك باعتبارها اللبنة الأولى للتطور العمراني الذي ستشهده المدينة وأحوازها فيما بعد، ثم إن إضافة كلمة "أبي" للفظ العمائر له دلالة لغوية خاصة تحيل على "كلّ من كان سببا في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره"[٨٣]، ولعل الاستقرار البشري على ضفاف الواد وتكوين تجمعات سكانية كان سببا في إيجاد وظهور مدينة مكناس، التي تحددت معالمها العمرانية والاقتصادية والاجتماعية عبر التاريخ، وذلك ما تفطّن إليه ابن غازي حين ربط بين الحوائر المنتشرة على ضفاف الواد و بين عمارة المدينة، مشيرا إلى مشاركة تلك الحوائر في "كثرة العمارة" بالمدينة[٨٤].

وبخصوص بداية استعمال تسمية "أبي العمائر" فيحتمل أن يكون بعد بسط الموحدين سيطرتهم على مدينة مكناس سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م لسببين هما:

أولاً: الدلالة اللغوية للفظ "العمائر" والذي يحيل كما أشرنا سابقا إلى "العمارة والعمران" وهو ينطبق على الفترة الموحدية وسياستهم القائمة على تشجيع الاستيطان بالمدن وعمارتها[٨٥]، ومن جملتها مدينة

مكناس التي اتسعت بها حركة العمران والبناء بعد استيلائهم عليها، ولعل أبلغ تعبير عن التحول الذي شهدته المدينة قول ابن غازي عنها "وكانت في المدينة بداوة ثم تمدنت واكتسبت حضارة"[٨٦]، ما يحيل على اكتسابها للمظاهر الحضارية التي جعلتها تنتقل من هيئة "المستقرات الحضرية العادية" إلى هيئة "المدينة أو المصر الجامع"[٨٧]، خاصة بعد جلب ماء عين "تاكما" إليها واستفادة مرافقها منه[٨٨].

ثانيًا: تحول المشهد الزراعي واتساعه وانقسامه إلى مجالين "مجال الأودية ذي المغارس الشجرية القديمة المتسمة بضيق مساحتها وتكاثف وتشابك أشجارها بين مجال البحائر المنبسط المعد للزراعات الشجرية والنباتات المرتبطة بالتسويق"[٨٩]، حتى غدت مكناسة "العجيبة الخضرة النضرة ذات البساتين والجنات المحيطة بها بحائر الزيتون من جميع نواحيها"[٩٠] بفضل استغلال مياه الواد وجلبها إلى البحائر المستحدثة بها[٩١].

٣/٢-تسمية "واد بوفكران"

استمر استعمال تسمية أبي العمائر إلى حدود إدخال مياه الواد إلى المدينة وانتفاع سكانها منه سنة ١٦٩٤م/ ١١٠٦هـ[٩٢] حيث سيتلاشى هذا الاسم لصالح التسمية الجديدة "بوفكران"، التي نملك بشأنها تفسيرين، الأول ذهب إلى كون اللفظ أمازيغي الأصل نسبة إلى "إفكر" و"إفشر" وجمعه "افكران" أو "افشران" وتصغيره "أفكرون" ومعناها "السلاحف"[٩٣].

أما التفسير الثاني فرجَّح صاحبه بأن لفظ "بوفكران" أطلق في إطار "المقارنة التفاضلية بين مياهه ومياه عين تاكما، وأن التسمية تحيل على مادة تافكرا" مدعما فرضيته بأن تسمية الواد لم تظهر "إلا بعد دخول مياهه في الحياة اليومية للسكان وأنها بدا غير مرغوب فيها في الخطاب الرسمي" ولم تكن شائعة الاستعمال إلا ما بعد سنة ١٧١٥م[٩٤]. والحاصل، إذا كنا لا نملك سوى هذين الاحتمالين لنرجح إحداهما، فإننا نغلب الاحتمال الثاني بالنظر إلى المعنى الأمازيغي للفظ "تافكرا" والذي يحيل على "الدُّرُدُ الكلسي" أي الجير الكلسي أو الحجر الجيري الذي يوجد بالواد ويشبه من حيث مظهره وشكله مظهر "دَرَقَة السلحفاة"[٩٥]، ويدعم هذه الفرضية أيضا أن الرواسب التي كان يحملها ماء الواد والتي كانت تلتصق وتتراكم بالقنوات المائية كلما طالها الإهمال، كان يطلق عليها بـ "تفكرة"، لذلك كان موضوع ضرر وجبت إزالته.

خَاتِمَةٌ

إن هذه الدراسة في بنائها العام لا تعدو أن تكون محاولة متواضعة لتقديم إجابة عن سؤال طبونيمية واد بوفكران، وهو السؤال الذي لازال في حاجة إلى مزيد من التمحيص والتدقيق والتهذيب، لا لتقصير في التنقيب عن المادة المصدرية والتوثيقية الكافية، وإنما لندرة المعلومات التي تمدنا بها، إذ تبين بعد فحص مكوناتها وفرز اتجاهاتها أن تسمية الواد فيها اختلف باختلاف المراحل التاريخية، وهو ما طرح إشكالية الربط في ما رود في المصادر التاريخية بالمجال الجغرافي للواد، مما لا يسعف في تقديم صورة أدق لبعض جوانب موضوع الدراسة، وفرض اتباع منهج يقوم على لمّ شتاتها ومقارنة بعضها ببعض قصد الحصول على الحدث التاريخي الذي يمكن إسقاطه على الواقع التاريخي وعلى طبونيمية واد بوفكران.

ولا شك أن الكشف عن موارد تاريخية إما في الخزائن الخاصة، أو في الأرشيفات الأجنبية التي لم تسعفنا ظرفية المرحلة في الوقوف على جملة منها واستغلال معلوماتها، كفيل بسد بعض ثغرات هذا العمل. وإذا كان من المجازفة إصدار أحكام وخلاصات نهائية في الموضوع فإن تفاعلنا معه طيلة المدة التي استغرقها إنجازه أتاح لنا الوقوف عند بعض الأفكار والتصورات الأولية التي تبدو لنا جوهرية في تشريح موضوع الدراسة منها على سبيل المثال قدرة تناهج العلوم والمعارف على توسيع آفاق البحث العلمي والتاريخي على وجه خاص، وما حاولنا إثباته هنا فيما يتعلق "بواد بوفكران" هو مجرد محاولة متواضعة على فعالية ما يمكن أن تقدمه المصادر التاريخية الدفينة المكتوبة منها والشفوية من معلومات أصيلة تفيد الباحث في الطوبونيميا المائية في تعزيز مادته المصدرية.

الإحالات المرجعية:

(١) مؤلف مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد المجيد، دار الشون الثقافية العامة، بغداد- العراق، بدون تاريخ**، ص١٨٧-١٨٨؛ الإدريسي أبو عبد الله، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٤٤-٢٤٥؛ ابن الخطيب لسان الدين، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨١م، ج٢، ص 372-371.

(٢) ابن غازي محمد العثماني، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م، ص٩-١٤؛ **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد-القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ج١، ص٧٨-٨٠.

(٣) إدريس الفاسي، "مكناس في بيئتها الطبيعية"، ضمن أعمال ندوة **الحاضرة الإسماعيلية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مكناس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٨، ص٢٧.

(٤) **الروض الهتون**، م.س، ص ٩.

(٥) **الإتحاف**، م.س، ج١، ص٨٠.

(٦) مجهول، **الاستبصار**، م.س، ص ١٨٨.

(٧) استخدم هذا اللفظ للدلالة على التجمعات السكنية الصغرى لمكناسة القديمة وعلى واقعها الأصلي الذي ظهرت به، والذي رجح أحد الباحثين أن يكون بفعل قرار سياسي من السلطة المركزية. محمد اللحية، **محددات نشأة المدينة المغربية**، م.س، ص ٦٥-٦٩.

(٨) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م.س، ص ٢٤٤.

(٩) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ٩.

(١٠) ابن الخطيب، **نفاضة الجراب**، م.س، ج٢، ص٣٧١.

(١١) محمد البروسوي، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تحقيق المهدي عبد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص ٦٠٠.

(١٢) أبو عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر دوسلان، مطبعة الحكومة، الجزائر، ١٨٥٧، ص ١٥٥.

(١٣) أبو عبيد الله الزهري، **كتاب الجغرافيا**، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور السعيد الظاهر، بدون تاريخ، ص ١٢٥.

(١٤) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ١٤- ١٦؛ ابن زيدان، **إتحاف**، م.س، ج١، ص ٧٩.

(١٥) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ٢٨.

(١٦) ابن زيدان، **إتحاف**، م.س، ج١، ص ٧٩. يراجع كذلك حول مياه هذه العين التقرير الطبي الذي أعدته سلطات إدارة الحماية بمكناس سنة ١٩١٤ والموجود ضمن وثائق بلدية مكناس، حيث خلص هذا التقرير إلى جودة ونقاء مياه عين تاجما وتميزها عن باقي العيون الاخرى بالمنطقة، وهو ما دفع الحماية الفرنسية بالمدينة إلى الاقتصار على مياه تلك العين في الشرب والسقي بدل العيون الأخرى.

(١٧) محمد اللحية، **محددات نشأة المدينة المغربية الوسيطية وتمدنها مدينة مكناس (٤٥٢ – ٦٤٥ هـ/ ١٠٦٠ – ١٢٤٧م)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس-فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، سلسلة رسائل وأطروحات رقم ١٦، مطبعة سايس كرافيك، فاس، ٢٠١١، ص ٣٤٤.

(١٨) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ٢٨.

(١٩) **حوالة كبرى مكناس رقم ٥**، ص١٤٩.

(٢٠) **نفس المصدر**، ص ٢٩٧.

(٢١) اللحية، **محددات نشأة المدينة**، م.س، صص ٥٤-٦٠.

(٢٢) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ١٣-١٤؛ محمد المنوني، "مدائن مكناس القديمة من العصر الإدريسي إلى أواخر عصر الموحدين"، ضمن أعمال ندوة **الحاضرة الإسماعيلية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- مكناس، جامعة سيدي محمد ابن عبد الله، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٨، ص ١٨٧.

(٢٣) مؤلف مجهول، **الاستبصار**، م.س، ص ١٨٨.

(٢٤) شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨، ج٢، ص ٣٠٣.

(٢٥) محمد بريان وحسن بنحليمة وعبد الله العوينة، **قراءة وتحليل الخريطة الطبوغرافية**، منشورات اللجنة الوطنية المغربية للجغرافية، الرباط، ١٩٨٢، ص ٢٥٣.

(٢٦) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ٤٠.

(٢٧) ابن الخطيب، **نفاضة الجراب**، م.س، ج٢، ص ٣٧١.

(٢٨) الوزان الحسن الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣م، ج١، ص ٢١٤.

(٢٩) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م.س، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٣٠) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ١٤؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م.س، ص ٢٤٥؛ الوزان، **وصف إفريقيا**، م.س، ج١، ص٢١٦.

(٣١) مؤلف مجهول، **الاستبصار**، م.س، ص ١٨٧.

(٣٢) اللحية محمد، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر ١٨٥٠-١٩١٢م**، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، السنة الجامعية ١٩٨٣-١٩٨٤، ص ٢٦.

(٣٣) "الوضع القانوني لمياه واد بوفكران على عهد المولى إسماعيل"، ضمن أعمال ندوة **واد بوفكران: البيئة والتاريخ وأفاق التهيئة**، منشورات عمادة جامعة المولى إسماعيل مكناس، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٩٦، ص ٩١.

(٣٤) بوشتى بوعسرية، **أحداث بوفكران بمكناس فاتح وثاني شتنبر ١٩٣٧**، دار المناهل، ١٩٩٠، ص ١٥٠- ١٨٩.

(٣٥) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م.س، ص ٢٤٤.

(٣٦) ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة ١، ١٩٧٠م، ص ١٤١.

(٣٧) الوزان، **وصف إفريقيا**، م.س، ج١، ص ٢١٤.

(٣٨) مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الاخضر وأحمد توفيق واحمد بنجلون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٤، ج٢، ص ١٤٠.

(٣٩) الأسير مويط، **رحلة الأسير مويط**، ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، مركز الدراسات والبحوث العلوية-الريصاني، دار المناهل، ١٩٩٠م، ص ٧٤.

(٤٠) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص٩.

(٤١) اللحية، **محددات نشأة المدينة**، م.س، ص ١٤.

(٤٢) القبلي (إشراف وتقديم)، **تاريخ المغرب**، م.س، ص ١٥.

(٤٣) الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ج٢، ص ٣٠؛ عبد الكريم الريفي، **زهر الأكم**، م.س، ص ٢٣٦.

(٤٤) الريفي، **زهر الأكم**، م.س، ص ٢٤٣.

(٤٥) محمد القبلي، **(إشراف وتقديم)، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، عكاظ الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١١**، ص ١٥.

(٤٦) محمد بريان وحسن بنحليمة وعبد الله العوينة، **قراءة وتحليل الخريطة الطبوغرافية**، م.س، ص ٢٤٥.

- Dresch (J), Gigout (M), Joly (F), Le Coz (J), Raynal (R), *Aspects de la géomorphologie du Maroc,* Note et Mémoire n° 96, Imprimerie Edita, Casablanca, 1952, pp 23-32.

(٤٧) ابن زيدان، **إتحاف**، م.س، ج١، صص ٨٠-٨١.

(48) Taghbaloute (A), *Le fellah Marocain L'Exemple d'une tribu berbère : Les beni m'tir du XIXe siècle jusqu'à nos jours*, Université de Saint-Etienne, Mai 1994, p 22.

(٤٩) **تقرير عن ماء واد بوفكران**، أرشيف نظارة اوقاف مكناس (بدون ترقيم)؛ بوعسرية، **أحداث بوفكران**، م.س، ص ٣٤.

- *« Le document sur les émeutes du 2 septembre 1937 à Meknès »*, C. A. D. N, n° 14MA / 250, p 2.

(٥٠) بوعسرية، **أحداث بوفكران**، م.س، ص ٤٥٥.

(٥١) وثيقة تحمل عنوان **"أصل الماء"** أرشيف نظارة اوقاف مكناس (بدون تصنيف أو ترقيم).

(٥٢) جدول تفصيلي حول صبيب واد بوفكران ما بين سنتي ١٩٤١-١٩٤٧م، أرشيف بلدية مكناس؛ إدريس الناصري، **ماء بوفكران الذي دفعت ثمنه الجماهير بمكناس بالدم أصبح ملوثا**، جريدة العلم، ١٥ أبريل ١٩٨٤م. مديرية الوثائق الملكية بالرباط، المحفظة رقم٧ تحت اسم "منوغرافية مكناس" سنة ١٣٣١-١٤٢٠هـ؛ بوعسرية، **أحداث بوفكران**، م.س، ص ٣٩.

(٥٣) **نفس المرجع** الأخير ونفس الصفحة.

(٥٤) أنظر على سبيل المثال:

- أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان ١٨٥٠-١٩١٢)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم ٦٣، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ٢٠١١، ص ٩٥؛ ولنفس الباحث مقاله: "حول معنى اسم مراكش"، ضمن **مراكش التأسيس والتسمية: دراسات ونصوص تاريخية**، جمع وتنسيق عبد القادر عرابي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ٢٠١٤م، ص ٢٥-٢٩.
- علي المحمدي، **السلطة والمجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة أبي رقراق، الرباط، ط ١، ٢٠١٤م، ص ١١-١٧.
- محمد حنداين، **المخزن وسوس (١٦٧٢-١٨٢٢م): مساهمة في دراسة تاريخ علاقة الدولة بالجهة**، دار أبي رقراق، الرباط، ط٢، ٢٠١٩م، ص ٤٩-٥١.
- عبد الرحمن المودن، **البوادي المغربية قبل الاستعمار: قبائل إينون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٥، ص١٤٦-١٥٢.
- جاك بيرك، "في مدلول "القبيلة" بشمال إفريقيا"، ضمن كتاب **الانتروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي**، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٧م، ص ١١٣-١٢٥.

- BERQUE (J), *Structures sociales du haut-atlas*, Imprimerie des Presses Universitaires de France, 1(re) Edition, 1955 , pp 3-11.

(٥٥) محمد البركة، "الطوبونيميا بالغرب الإسلامي مقدمات في الفهم"، ضمن **الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية مقدمات في الفهم والمنهج والعلائق**، أفريقيا الشرق، الدر البيضاء، ٢٠١٢م، ص١٧-١٩.

(٥٦) أيت أومغار، **الماء في المغرب القديم**، م.س، ص ٤١-٤٥.

(٥٧) المحمدي، **السلطة والمجتمع**، م.س، ص ١٢.

(٥٨) اللحية، **الوضع القانوني لمياه بوفكران**، م.س، هامش صفحة ٨٣ ومتن الصفحة ٩٠؛ بوعسرية، **أحداث بوفكران**، م.س، ص٣٤.

- TERRASSE (H , Ville impériales du Maroc, Dar al aman, Rabat, 2016, p131.

(٥٩) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ٨.

(٦٠) ابن زيدان، **إتحاف**، م.س، ج١، ص ٨٠.

(٦١) حيمر جمال، **مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث: دراسة في التاريخ السياسي والعمراني**، دار أبي رقراق، ط١، ٢٠٠٦، هامش الصفحة ٥٢.

(٦٢) محمد اللحية، "الوضع القانوني"، م.س، هامش صفحة ٨٣.

(٦٣) عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٧، ص٥٠-٥٣.

(٦٤) اللحية، **الوضع القانوني**، م.س، هامش صفحة ٨٣.

(65) - TERRASSE (H), *Ville impériales du Maroc*, Op. cité, p131.

(٦٦) أحمد بن محمد ابن عذاري، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٣م، المجلد ١، ص ٢٧٢-٢٧٣ وص ٢٧٩ وص ٢٨١؛ عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، م.س، ص٥٠-٥٣.

(٦٧) ابن زيدان، **إتحاف**، م.س، ج١، ص ٤٦.

(٦٨) أبو الخير الإشبيلي، **عمدة الطبيب في معرفة النبات**، قدّم له وحققه محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص ٤٧٦.

(٦٩) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م.س، ص245 .

(٧٠) اللحية، **محددات نشأة المدينة**، م.س، ص ٥٢.

(٧١) محمد اللحية، "تاورا"، ضمن **معلمة المغرب**، مطابع سلا، ١٩٩٥م، ج٧، ص ١٩٩٥.

(٧٢) عبد الواحد المراكشي، **وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد- الظاهر، ط١، ١٩٩٧م، ص ٢٩٥.

(٧٣) البكري أبو عبيد الله، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر دوسلان، مطبعة الحكومة، الجزائر، ص ١٣٢ وص١٥٥.

(٧٤) حيمر، **مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث**، م.س، ص ٦٢؛ اللحية، **محددات نشأة المدينة**، م.س، ص ٣٣.

- TERRASSE (H), *Ville impériales du Maroc*, Op. cité, p 129.

(٧٥) لم يستعمل الإدريسي لفظ "فلفل" في سياق وصفه للمستقرات المكناسية القديمة وإنما اكتفى بالقول بأنه نهر كبير يأتي من جنوب حارة "تاورا". الإدريسي، **نزهة المشتاق**، م.س، ص ٢٤٤. كما أن صاحب الاستبصار لم يذكر اسم الواد واكتفى هو أيضا بالإشارة إليه في سياق حديثه عن البحائر الموحدية بالمدينة حيث قال "وجلب ماء نهرها". مؤلف مجهول، **الاستبصار**، م.س، ص ١٨٧.

(٧٦) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، م.س، ص ١٤١.

(٧٧) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ٨.

(٧٨) محمد المنوني، **وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون وذريته**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٦م، ص ٦٦.

(٧٩) **نفس المرجع**، ص ٨.

(٨٠) الفيروز آبادي مجد الدين، **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠٠٥، صص ٤٤٤-٤٤٥.

(٨١) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ٣٢.

(٨٢) اللحية، **الوضع القانوني لمياه بوفكران**، م.س، هامش الصفحة ٨٣.

(٨٣) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٥٧.

(٨٤) ابن غازي، **الروض الهتون**، ص ٣٢.

(٨٥) حيمر، **مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث**، م.س، ص ٢٢٢؛ اللحية، **الحياة الاقتصادية**، م.س، ص ١٩.

(٨٦) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ٢٨.

(٨٧) اللحية، **محددات نشأة المدينة**، م.س، ص ٣٥٣.

(٨٨) ابن غازي، **الروض الهتون**، م.س، ص ٢٨.

(٨٩) اللحية، **محددات نشأة المدينة**، ص ٢٤٩.

(٩٠) أبو عبد الله محمد اللواتي (ابن بطوطة)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تقديم وتحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م، ج٢، ص ٦٨٦.

(٩١) مجهول، **الاستبصار**، م.س، ص١٨٧.

(٩٢) **حوالة أحباس كبرى مكناس رقم ٥**، ص ٢٩٧.

(٩٣) بوعسرية، **أحداث بوفكران**، م.س، ص ٣٤.

(٩٤) اللحية، **الوضع القانوني**، م.س، صص ٩٠-٩١.

(٩٥) محمد شفيق، **الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية**، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩١م، ص ٧٩.